منها بالتجائهم الى الألعاب وغيرها من ضروب الراحة والتسلية. قد تكون هذه الميول عارضة لا تلبث أن تزول، ولكنها مادامت موجودة خطر ينذر بشر مستطير. وإذا صدق هذا الظن وكانت هذه الميول موجودة حقاً فربما كانت رد فعل طبيعي للمجهود الذي قاساه الشعب في الحرب وزوال ما كان ينشي بصائره من الغرور

كذلك كانت الحرب سبباً فيما اعترى قوة بريطانيا المالية بعدها من ضعف مخيف. ذلك أن البلاد حملت من الديون والضرائب مالم تتحمله أمة أخرى، لأنها أمدت حلفاءها بجانب عظيم من نفقات الحرب؛ ولم يكد يَرِدُ اليها هؤلاء الحلفاء شيئاً من هذه الأموال، ولن يردوا اليها شيئاً في المستقبل إلا ما استدانته باسم هؤلاء الحلفاء من الولايات المتحدة الأمريكية. وبينما تعمل الدول الأخرى لتخفيف العبء عن كاهل أهلها تريد بريطانيا أعباءها بالتدريج؛ وتجيز كلتا الهيئتين السياسيتين القويتين في بريطانيا زيادة الضرائب وتراها أمراً مرغوباً فيه لذاته، فأحداهما تريد زيادة الضرائب المقررة، والأخرى ترغب في زيادة الضرائب غير المقررة من غير نظر الى ما سوف تُنفَق فيه الأموال. وهذه الأعباء الثقيلة تشل قدرة بريطانيا على الانتاج من وجوه عدة، وتضعف ملكة الادخار والاستثمار لدى كثير من طبقات الشعب ضعفاً خطيراً. ويزيد من هذا الخطر تمسك الشعب بمستوى معيشته الراقي دون أن يرى ضعف الوسائل التي تمكنه من ذلك، وهذا أمر مشاهد لدى جميع الطبقات. ولهذه الأسباب لم تعد بريطانيا كما كانت من قبل الأمة العظيمة الدائنة لأمم العالم والتي تقدم ما يلزم من المال لاستثمار موارده الطبيعية، وأخذت الولايات المتحدة تحل محلها، وتستحوذ على ما لهذا المركز من قوة ونفوذ. كذلك لم يستطع نظامها الصرفي برغم ما اتصف به من ثبات أن يجاري مطالب العهد الذي أعقب الحرب وما فيه من صعاب، فلقد أصبح المسيطرَ على هذا النظام عدد قليل من المؤسسات المالية الضخمة أفقدته كثيراً مما كان له من مرونة، وطالما استخدمت هذه المؤسسات ما لها من سلطان على وسائل الائتمان المالي في إضعاف المشروعات المالية واعاقتها بدل أن تعينها وتشجعها

(يتبع)

محمد بدران

أعلام الإسلام

٣ ـ سعيد بن المسيب

للأستاذ ناجي الطنطاوي

ترجمته ابتداء

قال يحيى بن سعيد: كان لسعيد بن المسيب جليس يقال له عبد الله بن أبي وداعة، فأبطأ عنه أياماً، فسأل عنه فقيل له: إن سعيد بن المسيب سأل عنك، فأتاه وسلم عليه، ثم جلس. فقال له سعيد: أين كانت غيبتك يا أبا محمد؟ فقال: إن أهلي كانت مريضة فرضتها ثم ماتت فدفنتها. فقال يا عبد الله، ألا أعلمتنا بمرضها فنعودها، أو بموتها فنشهد جنازتها؟ ثم عزّاه عنها ودعا له ولها، ثم قال: يا عبد الله، تزوج ولا تلق الله وأنت عزب [1]. فقال: يرحمك الله! ومن يزوجني؟ فوالله ما أملك غير أربعة دراهم [2]. فقال: سبحان الله! أو ليس في أربعة دراهم ما يستعف به الرجل المسلم؟ يا عبد الله! أنا أزوجك ابنتي إن رضيت. قال عبد الله: فسكت استحياء منه واعظاماً لمكانه. فقال مالك سكت؟ ألعلك سخطت ما عرضنا عليك؟ قال: يرحمك الله! وأين الذهب عنك؟ فوالله إني لأعلم أنك لو شئت زوجتها بأربعة آلاف وأربعة آلاف [3]، قال: قم يا عبد الله فادع لي نفرا من الأنصار، فقمت فدعوت له حلقة من بعض حلق الأنصار، فأشهدهم على النكاح بأربعة دراهم، ثم انقلبنا، فلما صلينا العشاء الآخرة وصرت الى منزلي [4]،

(١) وروى أنه قال: هل استحدثت امرأة

(٢) وفي رواية. وما أملك إلا درهمين، أو قال: ثلاثة

(٣) كانت بنت سعيد قد خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ابن عبد الملك حين ولاه، فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة صوت في يوم بارد؛ وصب عليه جرة ماء، وألبسه جبة صوف

(٤) وفي رواية: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح؛ وجعلت أتفكر ممن آخذ، وممن أستدين، فصليت المغرب، وانصرفت إلى منزلي واسترحت، وكنت وحدي صائما، فقدمت عشائي أفطر، وكان خبزا وزيتاً فاذا بآت يقرع الباب...

إذا برجل يقرع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : سعيد . فوالله خطر ببالى كل سعيد بالمدينة غير سعيد بن المسيب ؛ وذلك أنه ما رؤى قط خارجاً من داره إلا إلى جنازة أو الى المسجد . فقلت مَن سعيد ؟ قال : سعيد بن المسيب . فارتعدت فرائصى ، وقلت : لعل الشيخ ندم فجاء يستقيلنى ، فخرجت اليه أجر رجلى وفتحت الباب فاذا أنا بشابة ملتفة بساج ، ودواب عليها مذابح ؛ وخادم بيضاء ؛ فسلم علىّ[1] ثم قال لى : ياعبدالله هذه زوجتك . فقلت مستحيياً منه : يرحمك الله ! كنت أحب أن يتأخر ذلك أياماً . فقال لى : لمَه ؟ أولست أخبرتنى أن عندك أربعة دراهم ؟ قلت : هو كما ذكرت ، ولكن كنت أحب أن يتأخر ذلك . قال : إنها إذن عليك لغير ميمونة ، وما كان الله ليسألنى عن عزبتك الليلة وعندى لك أهل . هذه زوجتك ، وهذا متاعكم ، وهذه خادم تخدمكم معها ألف درهم نفقة لكم ، فخذها يا عبد الله أمانة لك ، فوالله انك لتأخذها سوامة قوامة ، عاوفة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتق الله فيها ، ولا يمنعك مكانها منى إن رأيت منها ما تكره أن تحسن أدبها . ثم سلمها إلى ومضى[2] . قال : فوالله ما رأيت امرأة قط أقرأ لكتاب الله تعالى ، ولا أعرف بسنة رسول الله صلى عليه وسلم ، ولا أخوف لله عز وجل منها . لقد كانت المسألة المعضلة تعيى الفقهاء فأسألها عنها فأجد عندها منها علماً

وروى[3] أنها لما تزوجت ، وبكر زوجها خارجاً سألته : أين يذهب ؟ فقال لها الى حلقة أبيك سعيد . قالت له : اجلس أعلمك علم سعيد !

(١) وفى رواية : فقلت يا أبا محمد ، لو أرسلت إلى فآتيك . قال : لأنت أحق أن تؤتى . قلت : فاتأمر ؟ قال : إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك ...

(٢) وفى رواية ؛ فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت من الباب ، ثم تقدمت إلى القصعة التى فيها الزيت والخبز فوضعتها فى ظل السراج لكى لا تراه ، ثم صعدت إلى السطح فرمت الجيران فجاءونى فقالوا : ماشأنك ؟ قلت : ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم ، وقد جاء بها على غفلة فقالوا : سعيد بن المسيب زوجك ؟ قلت نعم ! وها هى ذى فى الدار . قال : فنزلوا عليها وبلغ أبى فجاءت وقالت : وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام ، قال : فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فاذا هى من أجمل الناس ، وإذا هى أحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفهمهم بحق الزوج

(٣) مجلة الأزهر : المجلد السادس ، الجزء السابع ، صفحة ٤٨٥

نقشه وعبادته

قال ميمون بن مهران : بلغنى أن سعيد بن المسيب عمّر أربعين سنة ، لم يأت المسجد فيجد أهله قد استقبلوه خارجين منه قد قضوا صلاتهم

وقال ابن حرملة : اشتكى سعيد عينه ، فقالوا له : لوخرجت ياأبا محمد إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة[1] لوجدت لذلك خفة ، قال : كيف أصنع بشهود العتمة والصبح ؟ !

وقال عمران : قال سعيد : ما أظلنى بيت بالمدينة بعد منزلى ، إلا أنى آتى ابنة لى فأسلم عليها أحياناً ، (قال) : وكان سعيد يكثر الاختلاف إلى السوق

وقال محمد بن سعيد : كان سعيد بن المسيب أيام الحرة[2] فى المسجد لم يبايع ولم يبرح ، وكان يصلى معهم الجمعة ، ويخرج إلى العيد ، وكان الناس يقتتلون وينتهبون وهو فى المسجد لا يبرح الى الليل . قال : فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبل القبر حتى أمن الناس ، وما رأيت خيراً من الجماعة[3]

وقال ابن حرملة : قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب ؟ فأما صلاته فقد عرفناها . فقال : والله ما أدرى ، إنه ليصلى صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ بـ «ص والقرآن ذى الذكر»

وقال عطاء : إن سعيد بن المسيب كان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لم يتكلم كلاماً حتى يفرغ من صلاته ، وينصرف الأمام ، ثم يصلى ركعات ، ثم يقبل على جلسائه ويُسأل

وقال عاصم بن العباس : كان سعيد بن المسيب يذكّر ويخوف

وقال : سمعت سعيد بن المسيب يقرأ القرآن بالليل على راحلته فيكثر

(١) لم يبق اليوم من بساتين العقيق وخضرته إلا نخلة واحدة على بئر عروة

(٢) هى أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة ، وندب عسكره من أهل الشام لقتال أهلها من الصحابة والتابعين ، وأمر عليهم مسلم بن عقبة المرى فى ذى الحجة سنة ٦٣

(٣) ومثله قول سعيد : لقد رأيتنى ليالى الحرة وما فى المسجد أحد من خلق الله غيرى ، وإن أهل الشام ليدخلون زمراً زمراً يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، وما يأتى وقت الصلاة إلا سمعت أذاناً فى القبر ، ثم تقدمت فأقمت فصليت وما فى المسجد أحد غيرى

وقال : سمعت سعيد بن المسيب يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم

وقال عمران : كان فى رمضان يؤتى بالأشربة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فليس أحد يطمع أن يأتى سعيد بن المسيب بشراب فيشربه ، فان أتى من منزله بشراب شربه ، وان لم يؤت من منزله بشىء لم يشرب شيئا حتى ينصرف

وقال عبد الله بن يزيد الهذلى : إنه كان يصوم الدهر ، ويفطر أيام التشريق بالمدينة . وكان يقول لنفسه إذا دخل الليل ، قومى يا مأوى كل شر ، والله لأدعنك ترجفى رجف البعير ، فكان يصبح وقدماه منتفختان ، فيقول لنفسه : بذا أمرت ولذا خلقت

وكان يقول : ما فاتتنى فريضة فى جماعة منذ أربعين سنة ، وما أذّن المؤذّن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا فى المسجد . وصلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة . وكان يقول : ما فاتتنى تكبيرة الاحرام منذ خمسين سنة

وقال عبد الرحمن بن حرملة : سمعت سعيداً يقول : حججت أربعين حجة

وقال سعيد ما دخل على وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها ولا دخل على قضاء فرض إلا وأنا إليه مشتاق

وكان يقول وقد أتت عليه أربع وثمانون سنة : ما شىء أخوف عندى من النساء . فقالوا يا أبا محمد ، إن مثلك لا يريد النساء ولا تريده النساء قال : هو ما أقول لكم

هيبته

وقال عبد الرحمن بن حرملة : ما كان انسان يجترئ على سعيد ابن المسيب يسأله عن شىء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير

وقد ذكرنا أن الحرس ، عند دخول الوليد المسجد ، أخرجوا جميع من فى المسجد وبقى سعيد لم يجترئ أحد منهم أن يخرجه

سماعه الشعر

قال : ابن أبى ربيعة أشعر فى الغزل ، وابن قيس أكثر أغانى شعر

وقال عاصم : كان يحب أن يسمع الشعر ولا ينشده

وقال الأصمعى : قيل لسعيد بن المسيب : ها هنا قوم نسّاك يعيبون انشاد الشعر قال : نسكوا نسكا أعجمياً

وروى صاحب الأغانى عن ابراهيم بن محمد بن عباس المطلبى أنه قال :

مرّ سعيد بن المسيب فى بعض أزقة مكة فسمع الأخضر الحربى يتغنى فى دار العاص بن وائل :

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ... به زينب فى نسوة خفرات

فضرب برجله وقال : هذا والله مما يلذ استماعه ، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها ... وأبدت بنان الكف للجمرات

وعلت بنان المسك وحفّ رجلاً ... على مثل بدر لاح فى الظلمات

وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت ... برؤيتها من راح من عرفات

قال : فكانوا يرون أن هذا الشعر لسعيد بن المسيب[1]

(البقية فى العدد القادم)

ناجى الطنطاوى .

(١) وقال صاحب روضة المحبين : لما مر عبيد الله جامع بن مرخية الكلابى أحد شعراء الحجاز بسعيد بن المسيب قال سعيد : هذا من أكذب العرب ، قيل كيف يا أبا محمد ؟ قال أليس الذى يقول :

سألت سعيد بن المسيب مفتى ال ... مدينة هل فى حب ظمياء من وزر

فقال سعيد بن المسيب : إنما تلام على ما تستطيع من الأمر

كذب والله : ما سألنى عن شىء من هذا قط ، ولا أفتيته

محمد أمين حسونه

مؤلف الورد الأبيض

يقدم كتابه الجديد :

وراء البحـــار

صور ومشاهد من الغرب . سياحة فى عالم الفكر

رحلة فى اليونان وتركيا ورومانيا

والبحر الأسود والنمسا والمجر

مزينة بنحو ثمانين لوحة كبيرة

الثمن ١٢ قرشاً ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة